المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٨١/١١/١٣

من عرابى .. الى السادات
او الخط النضالى الممتد فى تيـــار الفكر المصرى

● بعـد ان رحـل السـادات يمـكن الآن ان نقـول كلمـة انصـاف عن الرجـــل الذى صنع تاريخ مصر قرابة احـد عشر عاما ، وشارك فى صنعه قبل ذلك قرابة ثلث قرن .

وسطورنا التـالية تهتـم بـالخط النضـالى خـاصة والذى يمثل السادات احـدى موجاته المتدفقة ابـدا فى تيار الفـكر المصرى الممتـد مـــن عرابى الى الوقت الراهن .

بادى ذى بدء قلما يخطىء الخـط البيانى الذى رسـم فى ثبـــاته او جموحه ، معالم حركة التاريخ فحركة الصراع بين الخير والشر تمـــر بمراحل عديدة قد ينتصر فيهـا الشر مـرات ، غير ان الانتصـــار الاخير للخير يبين لنا المعنى الحقيقـى الذى ترصد من خلاله القوانين الحتمية .. وهذا الخط الافقى الذى يعرف مـن خلاله تـاريخنا واحـداثه وثـوراته يعرف بـالتاريخ السـياسى ، غير ان هناك الى جانبه خـطا راسـيا اخـر

ربما صعب رصده بشكل مباشر واستخلاص ما يمكن ان يضيف الى الحركة الشمولية من تفسيرات اكثر جدة للعملية التاريخية ، ونقصد به الحركة الفردية التى لا تعمل بمعزل عن الاحداث الرئيسية بقدر ما تشكل فى النهاية موجة ثابتة فى تيارها .

وبدون الدخول فى خضم الاحداث وتشابكها يمكن ان نرى حركة التاريخ تسير بين عامى (١٨٨٢/١٩٥٢) فى خطين متمايزين : احدهما الخط النضالى الذى مثل جهود الشعب الفردية ، التى تتلاحم مع التيار السياسى العام ، وهو الخط الثانى او تنفصل عنه حين تكتشف انه ضل الطريق . غير ان روح المقاومة الشعبية كانت اكثر اهمية من المسار السياسى بل والمحرك الاساسى له فى احيان عديدة وهو ما يمكن الوقوف عليه بوضوح فى حياة السادات ، خاصة فى كتابه الهام (البحث عن الذات) .

وهذا الخط الذى يمكن ان يمثل الحركة النضالية الاصيلة ، يمكن ان نجد جانبا كبيرا منه فى حياة السادات التى كانت (تسير جنبا الى جنب مع احداث التاريخ) ، فالمقاومة النضالية بعد احتلال البلاد منذ عرابى كانت قد شغلت مساحات واسعة فى وجدانه سرعان ما عبرت عن ارهاصاتها النضالية فيما بعد ، لقد ارتبط وجدان السادات منذ

نعومة اظفاره بمصطفى كامل وادهم الشرقاوى وغيرهما فكلهم لديه رجل واحد (او هكذا بدا لى فى تحديهم للانجليز البرابرة المعتدين الذين شنقوا او جلدوا اهلنا فى قرية دنشواى المتاخمة لقريتنا) .. وما حدث فى دنشواى من الانجليز تجاه الفلاحين العزل من السلاح يحتل جزءا كبيرا من فكره فهو لا يفتأ من ان لاخر يذكر دنشواى ولا يمل الحديث عنها ابدا

ولم تكن الروح النضالية تمثل فى ماضى السادات ، او حاضره اثرا حيويا بل امتدت لتصنع مستقبل البلاد من خلال مستقبله . اذ شهدت الاحداث السياسية تصاعدا عالميا فى مواجهاتها بعد ان وصلت الحوادث بين سعد زغلول وزميله البريطانى رمزى مكدونالد اواخر ١٩٢٤ الى طريق مسدود ، فاذا اسلوب النضال الفردى يعود الى الساحة وتبدأ سلسلة من الاغتيالات اول عام ١٩٢٢ لاحد موظفى الامن العام ثم اغتيل السردار الانجليزى سيرلى ستاك (نوفمبر ١٩٢٤) فكان من اهم العقوبات التى «وقعتها انجلترا فى مصر ان يعود الجيش المصرى من السودان فعاد ومعه والدى» وعلى هذا النحو وجد السادات نفسه فى العاصفة التى تموج بحركة الاغتيالات والمظاهرات اليومية ، والتى اشترك فى بعضها «بسقوط صدقى باشا و «اعادة الدستور» . ثم جاءت معاهدة ١٩٣٦ فى وقت كان قد انتهى فيه من اتمام دراسته الثانوية

وكان هذا يعنى ان القيد الذى يمنعه من الانتظام فى الكلية الحربية قد سقط ، وان الجيش وهو الارادة التى يستطيع من خلالها ان يلعب دورا فى حركة النضال اصبح غير صعب المنال ، اذ كانت من اهم بنود المعاهدة ان «سمح للجيش المصرى ان يتسع .. واصبح بالامكان ان التحق بالكلية الحربية» ، فقد كان الدخول الى الكلية الحربية قبل ذلك من الصعوبة بمكان لا يستطيع معه الانتظام فى سلك الضباط الوطنيين

الا ابناء الطبقات العليا فقط .

واذ تركت الاحداث التى سبقت دخوله الى الكية الحربية «ارهاصات تلقائية بخط كفاح» لم يكن قد تنبه اليها بعد ، فقد كانت فترة الكلية الحربية ضرورية لتبلور مشاعره الوطنية ونضج المدارك «على الاوضاع شيئا فشيئا» ، واصبح القيام بثورة ضد الانجليز تؤدى الى هلاكهم وخلاص البلاد من حكمهم» ، هى الامنية التى عمل من اجلها

وفى خلال الحرب العالمية الثانية نشطت التنظيمات التى تعمل من اجل البلاد ، سواء فى خارج الجيش او داخله .

وبدأ التحرك بين عديد من الوطنيين للاتصال بمبعوثى روميل خصم الانجليز على الحدود المصرية للاتفاق على التعاون «مقابل ان تنال مصر استقلالها التام

وتتمخض الحرب فى نهاية سنة ١٩٤٤ عن نتائج عديدة اذ بدات قمة

النصر ترجع فى يد الحلفاء وكان على الوطنيين «عمل شىء» ، للتفكير خارج الاسوار فيما يمكن فعله بعد انتهاء الحرب ، ويهرب السادات ليواصل حركة النضال من الخارج

وتشتد حركة المقاومة ، ويقبض على المزيد من الوطنيين ، غير انه حين تنتهى الحرب تسقط الاحكام العرفية (سبتمبر ١٩٤٥) وتشتد الحركة النضالية ويعود الوطنيون للتفكير فى التخلص من هؤلاء الانجليز ومنهم «امين عثمان

وبعد الثورة كان لابد من حدوث شىء يؤكد للانجليز تحول الارادة النضالية فى مدها الى ثورة وكان ذلك حين طلب القائم بالأعمال البريطانى ولما يمض على الثورة شهور ، وفى صحبته الملحق العسكرى للسفارة البريطانية ، مقابلة قادة الثورة وفى المقابلة «قدم القائم بالاعمال مذكرة فحواها انهم باعتبارهم اصدقاء لنا فهم يطلبون معرفة موقف الثورة من اسرة محمد على وحقوقها التاريخية ، ويطلبون كذلك فرض حظر التجول حماية لارواح الاجانب .

وكانت هذه هى الفرصة التى «نتوق اليها طول عمرناء لما يقول فالتفت السادات عضو قيادة الثورة الى احد الرجلين قائلا : «اسرة محمد على وحقوقها التاريخية .. ما دخلكم انتم فى هذا ، اما عن حماية الاجانب فيجب ان تعلموا ان هذه بلدنا .. انه منذ اليوم لا احد مسئول عنها الا نحن .. ونحن فقط .. افهمتم» .